



جمالية القيد وخصوصية الصوت من الداخل
- الرواية كفعل مقاوم في "الشوك والقرنفل" ليحيى السنوار نموذجاً

**The Constraint Aesthetics and the Inner Voice Privacy:
The Novel as a Resistance Act in Yahya Sinwar's "The
Thorn and the Clove" as a Model**

شقيني فاطمة¹ نسرين عطية²

¹ جامعة تمنغست (الجزائر)، chaguinifatima@univ-tam.dz

² جامعة تمنغست (الجزائر)، atianesrine@univ-tam.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة النقدية إلى تحليل رواية "الشوك والقرنفل" ليحيى السنوار بوصفها تجسيدا فعلياً للمقاومة في سياق الرواية الفلسطينية. تتجاوز الدراسة الوصف السردى لتركز على آليات السنوار في بناء عالم روائي لا يكتفي بعرض الواقع الفلسطيني المعاش، بل يتجاوزه إلى خلق فضاء للمواجهة والصمود. تبرز الدراسة كيف تتحول الشخصيات، الأحداث، وحتى التفاصيل اليومية إلى رموز للمقاومة الشاملة، والتي لا تقتصر على البعد العسكري، بل تمتد لتشمل البعد الثقافي والاجتماعي والنفسي. يُنظر إلى الرواية كـ "فعل مقاوم" بحد ذاتها، حيث تساهم في تشكيل وعي جمعي مقاوم وتوثيق التجربة الفلسطينية من منظور الداخل، بعيداً عن التنميطات الخارجية. يكشف التحليل عن براعة السنوار في استخدام اللغة والصور الشعرية لخلق نص مؤثر يستفز الذاكرة ويثير التساؤلات حول طبيعة المقاومة وأشكالها المتجددة.

كلمات مفتاحية: الاتّساق، الانسجام، التماسك، النصّ، التلقّي

Summary:

This critical study aims to analyze the novel 'The Thorn and The Clove' by Yahya al-Sinwar as a tangible embodiment of resistance within the context of Palestinian literature. The study goes beyond mere narrative description to focus on al-Sinwar's mechanisms in constructing a fictional world that not only presents the lived reality of the Palestinian experience but transcends it to create a space for confrontation and resilience. The study highlights how characters, events, and even everyday details are transformed into symbols of comprehensive resistance, which is not limited to the military dimension but also extends to cultural, social, and psychological aspects. The novel is viewed as a 'resistive act' in itself, contributing to the formation of a collective resistant consciousness and documenting the Palestinian experience from an internal perspective, away from external stereotypes. The analysis reveals al-Sinwar's skill in utilizing language and poetic imagery to create a powerful text that provokes memory and raises questions about the nature of resistance and its evolving forms.

Keywords: Palestinian novel, Yahya al-Sinwar, cultural resistance, Thorns and Cloves, constraint aesthetics

1. مقدمة :

لطالما تجاوزت الرواية في السياق الفلسطيني كونها مجرد قالب سردي يحكي حكاية؛ لقد تحولت إلى فضاء وجودي للصراع، ومراة تعكس أعماق التحولات والتحديات المصيرية التي واجهها الشعب الفلسطيني منذ لحظة النكبة الكبرى عام 1948. في ظل سياق سياسي وثقافي يهدف إلى طمس الهوية ومحو الذاكرة، أخذت الرواية على عاتقها مهمة استعادة الصوت الفلسطيني الممنوع، وتدوين الحكاية المسروقة، وتجسيد الوعي الجمعي في مواجهة محاولات التغييب الممنهج.

هذا الدور المحوري للأدب في المشهد الفلسطيني يطرح مجموعة من الإشكاليات المتداخلة والمعقدة: كيف تستطيع الرواية الفلسطينية أن تُقدم سردًا مقاومًا لا يفرق في مرارة الواقع وقسوة الاحتلال من جهة، ولا يقع في فخ التفاؤل المفرط الذي يتجاهل عمق المعاناة من جهة أخرى؟ كيف تُوازن بين الألم الذي يُشكله "الشوك" المتغلغل في كل تفاصيل الوجود الفلسطيني، وبين "القرنفل" الذي يرمز للأمل، والصمود، والإصرار على الحياة؟ هل يُمكن لهذا التوازن أن يُسهم في تعزيز الفعل المقاوم لا مجرد تسجيله؟ وما هي الخصائص الفنية والموضوعية التي تُضيفها تجربة الاعتقال والسجن على الرواية الفلسطينية؟ وكيف تُمكن رواية كُتبت من داخل زنازين الاحتلال، مثل "الشوك والقرنفل" ليحيى السنوار، أن تختزل

جماليتة القيد وخصوصية الصوت من الداخل - الرواية كفاعل مقاوم في "الشوك والقرنفل" لـ ليحيى السنوار
المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026

هذه الثنائية المعقدة بين القهر والإبداع دون أن تُفقد السرد عمقه الفني أو إنسانيته المتجذرة؟ هل تُقدم هذه الروايات نموذجاً فريداً يختلف عن الروايات التي تُكتب من خارج تجربة الأسر؟

تسعى هذه الدراسة النقدية إلى تحليل الرواية الفلسطينية كفاعل مقاوم، يُحدد مفهوم المقاومة الثقافية وأبعادها في الأدب. ثم تنتقل لتطبيق هذه الأطر والمفاهيم على رواية "الشوك والقرنفل" لـ ليحيى السنوار بوصفها أنموذجاً يُضيء تجليات هذا الفعل المقاوم في أدب السجون. ستركز المقالة على الكشف عن آليات السنوار الروائية في تجسيد ثنائية "الشوك" كمرادف للألم والقهر، و"القرنفل" كمجسد للأمل والصمود، مع الحفاظ على عمق السرد وقدرته على استنهاض الوعي الجمعي، وتأكيد دور الرواية كأداة للمقاومة الفكرية والثقافية التي تلازم وجدان القارئ وتعمق فهمه لهذا النوع من الأدب.

2. الرواية الفلسطينية وأبعاد المقاومة

1.2 مفهوم المقاومة في الأدب والسياق الفلسطيني:

تُعَدُّ الرواية الفلسطينية، ضمن إطار النقد الأدبي، فضاءً سردياً مُمأسساً للوعي المقاوم، إذ لا يقتصر دورها على مجرد عكس الواقع المأزوم أو تسجيل المأساة التاريخية، بل تتجاوز ذلك لتصبح فعلاً إبداعياً مضاداً يهدف إلى تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة بناء الذات القومية. إنها تنشئ ميتاسردية تحافظ على الرابط الوجودي بين الإنسان الفلسطيني وأرضه، متخذة من تقنيات السرد وسيلة لحفظ الجغرافيا من الاندثار في الذاكرة الجمعية، وتحوّل الرواية من عمل فني فردي إلى مشروع ثقافي جماعي يُعنى بتوريث "حق العودة" كعقيدة لا تقبل التفاوض، وتُظهر المقاومة على أنها حالة شاملة تتخلل كل تفاصيل الحياة اليومية. في هذا السياق، يُشير النقد إلى أن البنية السردية نفسها مبنية على أساس المقاومة، حيث يتم استغلال التنوع في الأصوات والمنظورات لتكوين شهادة مُعقّدة تُفند الرواية الأحادية للمحتل.

إنّ الخصيصة الأبرز في الرواية الفلسطينية تكمن في قدرتها على "أدوّة" الألم الفردي وتحويله إلى وقود سردي يُنتج مقاومة معرفية مُستدامة، تكسر استمرارية زمن النكبة وتؤسس لزمن التحرير الآتي"¹. هذا التحليل يؤكد على أن الوظيفة التوثيقية والوجودية

للرواية هي في جوهرها فعل مقاومة يرفض الاعتراف بالواقع المفروض، ويُسهّم في إبقاء الحلم بالعودة حياً ومُتوهجاً، مما يجعلها سلاحاً معرفياً لا يمكن مصادرتة.

إن مفهوم المقاومة في الأدب، وبخاصة في السياق الفلسطيني، يتجاوز المعنى العسكري المباشر ليُصبح فعلاً ثقافياً وفكرياً عميقاً يُعبر عن التمسك بالوجود، وتحدي السرديات المهيمنة، وبناء وعي جمعي يُسهّم في صون الهوية.

الأدب هنا ليس مجرد انعكاس سلبي للواقع، بل هو أداة فاعلة في تشكيله وإعادة صياغته من منظور المقهور. يقول أحد النقاد، "إن الأدب المقاوم ليس مجرد تسجيل للأحداث أو صرخة احتجاج عابرة، بل هو إبداع لواقع مضاد، يُمكن من خلاله للذات المهمشة أن تستعيد صوتها ووجودها، وتُلقي بظلالها على المستقبل"². في السياق الفلسطيني، يُصبح الأدب، والرواية تحديداً، بمثابة حائط صد ثقافي أمام محاولات الاحتلال لمحو الذاكرة وطمس المعالم الجغرافية والبشرية، ليُقدم سردية بديلة للحقيقة الفلسطينية التي تُغتصب. وقد أشار آخر إلى أن "الأدب الفلسطيني يُمثل خندقاً ثقافياً لا يقل أهمية عن الخنادق العسكرية، فهو يُسهّم في تعزيز الصمود وتغذية الوعي المقاوم للأجيال عبر نقل التجربة وتوريث الأمل"³. هذا يُبرز العلاقة الجدلية بين الأدب والسلطة والهوية، حيث يُصبح النص الروائي فضاءً لمقارعة الخطابات المهيمنة وتأكيد الذات الثقافية والوطنية.

يُمثّل البُعد السيكلوجي (النفسي) في الرواية الفلسطينية محوراً نقدياً جوهرياً لفهم أبعاد المقاومة الداخلية، حيث تركز الأعمال على التحديات الوجودية للشخصية الفلسطينية في مواجهة الاقتراع واللجوء، دون أن تُصوّر بضعف أو انهزام، بل تُظهر قدرتها الفائقة على الصمود النفسي، وتحويل حالة "اللاجدوى" إلى "جدوى مقاومة" عبر التشبث بالذاكرة والأمل. تُعالج الرواية بعمق مفهوم البطولة المركبة، التي لا تقتصر على الفعل المسلح، بل تتجلى أيضاً في قوة العزيمة على استمرار الحياة، والحفاظ على الهوية الثقافية، وتربية الأجيال على الرفض المطلق للاستسلام. ومن هذا المنطلق، يصبح السرد مساحة لـ "الاسترداد الذاتي" حيث يستعيد الفلسطيني سيطرته على ذاته ووعيه من خلال حكاياته الخاصة، مُزجاً الصورة النمطية التي يسعى الاحتلال لفرضها عليه.

"يُعَدُّ توظيف 'تيار الوعي' في هذه الروايات دليلاً على أن المعركة الحقيقية تدور في أعماق الذات، فاستمرار الوعي بالحق يُشكّل أقصى درجات المقاومة ضد محاولات تفريغ

جمالية القيد وخصوصية الصوت من الداخل - الرواية كعمل مقاوم في "الشوك والقرنفل" ليهي السبوار انموذجاً _____ المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026

الروح الفلسطينية من مضمونها التاريخي والإنساني"⁴. إن هذا التعمق في الدوافع النفسية يمنح الرواية بعدها الكوني، إذ يربط الصراع الفلسطيني بالقضايا الإنسانية للحرية والعدالة، ويظهر المقاومة كضرورة أخلاقية ووجودية لا يمكن التخلي عنها.

يتمظهر البعد السياسي والمجتمعي للمقاومة في الرواية الفلسطينية من خلال توظيف تقنيات التشيت السردية التي تعكس التمزق الجغرافي والاجتماعي للشعب. فاستخدام تقنية الأصوات المتعددة والمنظورات المتباينة (اللاجئ، المقاتل، أسير الداخل، فدائي الشتات) ليس مجرد تنوع أسلوب، بل هو بناء سردي متكامل يسعى لإيجاد وحدة عضوية بين أجزاء الوطن المتناثرة، ومقاومة الانفصال القسري بين مكونات المجتمع الفلسطيني. تتحول الرواية بذلك إلى منصة جامعة لخطاب المقاومة، تتجاوز الانقسامات الأيديولوجية والسياسية اللحظية، لتؤكد على الثابت الوطني المشترك.

وهي بذلك تُعزز الوعي بضرورة التماسك الداخلي كأحد أركان المقاومة، كما تعمل على تأريخ البطولة الشعبية، حيث تُسند دور الفاعل الأساسي في المقاومة إلى طبقات المجتمع كافة، بما في ذلك المرأة، الطفل، والفلاح، مُلغية المركزية النمطية للقيادة العسكرية أو السياسية. "إنّ البنى الروائية في أدب المقاومة تعمل باستمرار على تفكيك ثنائية 'الخاسر/المنتصر' السطحية، لتقدم بدلاً منها جدلية 'الصمود/الاندثار'، حيث يتجسد الانتصار في القدرة على إبقاء سرديّة الوطن متصلة ومتماسكة عبر الأجيال"⁵. هذا التوزيع العادل للبطولة يُرسّخ فكرة أن المقاومة هي إرادة شعب لا قرار فرد أو حزب، وهي مستمرة ما دام هناك حكايات تُروى.

في التحليل النقدي، تُعدّ الرواية الفلسطينية أفقاً رؤيويّاً يتخطى حدود النقد الاجتماعي والسياسي المباشر، لتؤسس لجمالية مقاومة خاصة بها. هذه الجمالية تقوم على استغلال الرمزية المكثفة (كرمزية الزيتون، المرج، المفتاح، السجن) لتوصيل رسالة المقاومة بصورة غير مباشرة وأكثر عمقاً، مما يضمن للنص ديمومة وتأثيراً عالمياً أوسع من مجرد الخطاب المباشر أو الدعائي، فتنتقل القضية من المحلية إلى الكونية.

كما تتجسد المقاومة في التشكيل اللغوي الذي يرفض الاستكانة، ويستغل اللغة العربية كحصن للهوية الثقافية، مُحيياً المفردات المرتبطة بالجغرافيا الفلسطينية الأصيلة

ومصادراً للغة من محاولات التشويه والاختزال. الرواية هنا ليست مجرد مرآة، بل هي مخيال يُخلق واقعاً موازياً للتححرر، يُعاش ويُتوارث، مما يجعلها سلاحاً فعالاً في حرب الأجيال على الذاكرة والرواية. "يُظهر النقد الأدبي أن التحدي الأعمق للرواية الفلسطينية يكمن في قدرتها على 'تأنيث' المساحات الفارغة التي خلفها التهجير، من خلال خلق أساطير المقاومة اليومية التي تُبقي شعلة العودة متقدة في وعي القارئ"⁶. هذا البُعد يضع الرواية الفلسطينية في مصاف الآداب العالمية الكبرى التي خاضت معاركها الوجودية، مؤكدة أن الإبداع الحقيقي لا ينفصل عن التحرر والعدالة.

2.2. سمات الرواية الفلسطينية المقاومة:

تُقدم الرواية الفلسطينية، بثنائها وتنوعها، سمات جوهرية تُشكل ملامحها المقاومة وتُمكنها من تحقيق دورها المحوري:

1.2.2 الذاكرة والهوية محور الصراع والبقاء:

تعمل الرواية الفلسطينية بجد على حفظ الذاكرة الجماعية للأحداث التاريخية المفصلية، كالنكبة عام 1948، والنكسة عام 1967، والمجازر المتتالية، والانتفاضات المتتالية. إنها تُقاوم النسيان الممنهج وتوثق الألم الوجودي، مُسهمَةً بفاعلية في ترسيخ الهوية الفلسطينية بمكوناتها الثقافية، الجغرافية، والتاريخية. في هذا الصدد، يرى بعض النقاد أن "الذاكرة في الرواية الفلسطينية ليست مجرد استدعاء للماضي، بل هي فعل مقاوم يُعيد بناء الأنا الجمعية في مواجهة محاولات التفكيك الثقافي والتهجير القسري"⁷. الرواية هنا تُصبح حارسة للتراث، وناقلة للتجربة من جيل لآخر، مُعززة الانتماء للأرض والهوية كمفهوم متصل لا ينفصل عن الفعل المقاوم. إنها تُقدم رؤية للماضي تُضيء الحاضر وتُشكل أساساً للمستقبل.

تشكل الذاكرة والهوية في الرواية الفلسطينية المنظومة الفكرية والجمالية التي يُبنى عليها مشروع البقاء والمقاومة، إذ إن النكبة والتهجير لم يُشكلا مجرد صدمة جغرافية، بل كانا محاولة جذرية لاقتلاع الهوية وتحييد الذاكرة الجمعية، بهدف تحويل الفلسطيني إلى كائن مجرد من سياقه التاريخي. لذا، تُصبح الرواية في سياقها النقدي مشروعاً مضاداً لـ "الهندسة السردية" للاحتلال، حيث تعمل على استدعاء وتشكيل الذاكرة الفردية والجماعية بشكل مُمنهج ومنظم، مُحولة إياها من حمولة نفسية ثقيلة إلى أداة صلبة للمواجهة

الإبستمولوجية (المعرفية). هذا الاستدعاء لا يقتصر على استرجاع الأحداث الماضية فحسب، بل يتعداه إلى "تفعيل" تلك الذاكرة في زمن الحاضر والمستقبل، لتصبح بمثابة "عقد اجتماعي" غير مكتوب يُلزم الأجيال الجديدة بالحفاظ على الروابط المكانية والزمانية التي حاول القمع قطعها. فالحفاظ على تفاصيل العيش قبل النكبة، وتوثيق أسماء القرى المندثرة، ورسم ملامح الشخصيات الأصلية، كلها عناصر تُسهم في ترسيخ الهوية الكامنة التي ترفض الذوبان في سياق الشتات أو الانصهار في الواقع المفروض.

تُقدم الرواية الفلسطينية صراع الهوية والذاكرة بوصفه معركة ثقافية وجودية تتجاوز الصراع المادي على الأرض، لتصل إلى صراع على تعريف الذات والآخر. في هذا الإطار، تُعالج النصوص الروائية بعمق كيفية تحوّل الذاكرة من حالة وجدانية فردية إلى موقف سياسي علني، حيث يُصبح استرجاع اسم شارع في يافا أو تفصيل بيت في حيفا فعلاً مقاوماً بحد ذاته. النقد الأدبي المتخصص يرى أن الرواية تُسهم في "مأسسة الذاكرة" عبر آليات السرد، بحيث تُصبح الذاكرة نظاماً معرفياً متكاملًا وغير قابل للتجزئة أو التحريف، مما يضمن ديمومة القضية وتجديد الوعي بها عبر الأجيال التي لم تعيش التجربة الأصلية.

إن الهوية، كما تُصورها الرواية، ليست كياناً ثابتاً، بل هي عملية بناء وتشكيل مستمرة تُقاوم التلاشي وتتغذى من سرديات الصمود والبقاء، ولذلك يؤكد الدارسون على دور النص في تفعيل هذا المحور الجدلي: "لا يمكن فهم البقاء الفلسطيني دون إدراك أن الرواية قد نجحت في تحويل الذاكرة من مستودع للألم إلى مشروع مستقبلي للهوية، حيث يتم إعادة إنتاج الذات القومية عبر استحضار المكان الغائب"⁸. هذا التشكيل الهوياتي عبر السرد يُعد جوهر عملية المقاومة الثقافية التي تضمن استمرارية الوجود الفلسطيني كقضية حية وفاعلة.

إن التعاطي السرد مع مفهومي الذاكرة والهوية في الرواية الفلسطينية يكشف عن مستويات مُركبة من المقاومة الجمالية والفكرية، فالرواية لا تكتفي بتصوير اللجوء والمنفى، بل تُحول هذين الفضاءين إلى حيز لإنتاج معنى جديد للوطن يتجاوز الجغرافيا المحتلة ليصبح وطناً في الذاكرة والوعي، وهذا ما يسميه النقاد بـ "المكان الميثولوجي"، حيث يتحول المكان المفقود إلى رمز مُقدّس لا يمكن نسيانه أو استبداله. علاوة على ذلك، تُمارس الرواية نوعاً من

المقاومة الزمنية، إذ تُفكك الزمن الخطي الذي فرضه الاحتلال (زمن النكبة المستمرة) وتُعيد ترتيبه عبر تقنيات فنية تخلط بين الماضي والحاضر والمستقبل، لتؤكد أن الماضي هو الأساس الذي يُبنى عليه المستقبل الحر.

هذا التلاعب الواعي بالزمن السردى يهدف إلى إبطال مفعول محاولات الاحتلال لـ "تجميد" الوعي الفلسطيني في لحظة الهزيمة، ويُطلق العنان لإمكانية التحرير كغاية حتمية. إن العلاقة بين الذاكرة والهوية في هذا الإطار هي علاقة وظيفية: الذاكرة هي المادة الخام، والهوية هي الناتج المستمر لعملية الصراع والبقاء، والرواية هي الأداة التي تُنظّم هذه العملية وتُعمقها في وجدان الأمة.

3.2. الألم والصمود ثنائية الوجود الفلسطيني:

تُشكل ثنائية المعاناة والإصرار على البقاء محورًا أساسيًا في الرواية الفلسطينية، وتعكس جوهر التجربة الفلسطينية. الألم (الشوك) ليس مجرد حدث عابر أو شعور مؤقت، بل هو تجربة وجودية عميقة تتغلغل في النسيج الاجتماعي والنفسي للشخصية الفلسطينية. إنه نتيجة للاحتلال، النزوح، الفقد، والقمع اليومي. ومع ذلك، لا تُقدم الرواية اليأس كخاتمة حتمية، بل تُبرز القدرة الفائقة للشعب الفلسطيني على الصمود، التكيف، والمواجهة في أشد الظروف قسوة. لقد ذكر أن "ليس هناك أدب يُعاني ويُقاوم بقدر الأدب الفلسطيني، ومع ذلك، فالمفارقة تكمن في قدرته الخارقة على تحويل هذا الألم المتجذر إلى طاقة صمود لا تنضب وإبداع يُجدد الأمل في النفوس ويُحيي الأرواح"⁹. هذه الثنائية لا تُجسد التناقض بقدر ما تُظهر التلاحم العضوي بين اليأس المحتمل والأمل الضروري كضرورة وجودية للحياة والمقاومة.

تُمثّل ثنائية الألم والصمود المحور البنيوي العميق الذي تُؤسس عليه الرواية الفلسطينية خطابها الوجودي، وهي ليست مجرد تقابل عاطفي، بل هي جدلية فلسفية تُعيد تعريف معنى البقاء في سياق القهر الاستعماري المستدام، فالألم، سواء كان ناتجاً عن النكبة، التهجير، الحصار، أو الاعتقال، لا يُعرض كنهاية أو استسلام، بل يُستخدم كنقطة انطلاق سردية تُفجّر طاقات المقاومة الداخلية. إن الناقد المتخصص يرى في هذا التعامل مع الألم "آلية سردية مُحولة"، حيث يتحول الشعور بالخسارة إلى وقود فكري وإرادي، يُجبر الشخصية الروائية على البحث عن أشكال متجددة من الصمود تتجاوز الفعل المباشر

لتشمل التشبث بالذاكرة، اللغة، والتفاصيل الثقافية الهامشية. هذا التحول يُبرز قدرة الرواية على فك ارتباط الألم بالهزيمة، ليصبح دليلاً على العمق الإنساني وقوة الرفض للهيمنة، مُرسخاً البعد الإنساني للقضية بعيداً عن الاختزال السياسي.

يُعالج السرد الفلسطيني هذه الثنائية الوجودية عبر تقنيات سردية متقنة تُركز على الزمن الداخلي وتيار الوعي، حيث يتم استكشاف العمق النفسي للشخصيات التي تعيش تحت وطأة التوتر المستمر بين الفقد والأمل. الصمود في هذا الإطار لا يُفهم كحالة ثبات غير مبالية، بل كـ "ديناميكية نفسية" مُركبة تتقبل الألم كجزء من الواقع التاريخي، لكنها ترفض السماح له بتحديد المصير النهائي، فالرواية تُبين أن الفعل المقاوم الأشد قوة هو الإصرار على الحياة وإعادة بناء المعنى في ظل الشروط القاسية. إن الصمود يُصبح هنا مرادفاً للاستمرارية الرمزية والثقافية، وهو ما يُشار إليه في الدراسات النقدية: "تُثبت الرواية الفلسطينية أن الصمود ليس مجرد حالة من التحمل السلبي، بل هو نتاج لـ 'تنظيم إرادي' للذاكرة والوعي، حيث يُستخدم الألم كأداة للمراجعة الذاتية التي تُعيد ترسيم حدود الهوية في مواجهة التلاشي"¹⁰. هذه العملية التوليدية تُحوّل النص الأدبي إلى مختبر نفسي يُظهر كيفية تحويل التجربة المأساوية إلى أساس للمشروع الوطني، حيث يُعاد اكتشاف القوة الكامنة في الذات المشتتة.

إن الاندماج العضوي بين الألم والصمود في الرواية يُؤسس لـ "جمالية مقاومة" فريدة، تتسم بالواقعية القاسية والقدرة على خلق الأمل من قلب اليأس. هذه الجمالية تظهر في التوظيف المكثف للرمزية، حيث تتحول عناصر الطبيعة والمكان مثل: الحجر إلى رموز مُحملة بالصمود وتأكيد الهوية رغم محاولات الطمس. فالألم الموصوف بدقة يصبح شاهداً لا يمكن إنكاره على الجريمة التاريخية، بينما يُمثّل الصمود البُعد الرؤيوي للرواية، حيث تتطلع الشخصيات إلى مستقبل التحرير بالرغم من مرارة الحاضر. هذا التوازن الدقيق بين توثيق المأساة وتقديم رؤية متفائلة يمنح الرواية قوتها النقدية والتأثيرية، إذ أنها لا تغرق في التراجيديا، ولا تقع في فخ الخطاب الحماسي السطحي، بل تحافظ على جدليتها الوجودية التي تُرسّخ أن الحفاظ على الروح المقاومة هو الانتصار الأول والأخير في معركة البقاء.

4.2. المكان والزمان كفاعل روائي لا كخلفية:

يتجاوز توظيف المكان في الرواية الفلسطينية كونه مجرد خلفية للأحداث؛ ليُصبح كياناً حياً وفاعلاً رئيسياً في تشكيل الوعي، والصراع، والمقاومة. فلسطين التاريخية، بمخيماتها، قراها المدمرة، ومدنها المحتلة؛ كل ركن من هذه الأرض يتحول إلى وعاء للذاكرة ومهد للصمود المتجدد. هذا التحول يجعل المكان رمزاً للهوية والانتماء الذي لا يتزعزع. يؤكد بعض الدارسين أن "المكان في الرواية الفلسطينية ليس حيزاً جغرافياً يُسكن فحسب، بل هو ذاتٌ تُصارع وتُقاوم، ويُصبح رمزاً للهوية والانتماء العميق الذي لا يتزعزع، ويُعبر عن تجذر الإنسان بأرضه"¹¹.

وفي السياق ذاته، يُوظف الزمن الروائي بمهارة لربط الماضي الأليم (النكبة والنكسة) بالحاضر المليء بالتحديات (الانتفاضات والمواجهات اليومية) والمستقبل المأمول (التحرير والعودة). إن الزمن في الرواية الفلسطينية ليس خطياً بسيطاً، بل هو زمن مثقل بالذاكرة والتجارب المتراكمة، يُصبح شاهداً على الصمود ومُعززاً لاستمرارية الصراع والمقاومة.

يُشكّل المكان والزمان في الرواية الفلسطينية بُنية سردية فعلية تتجاوز وظيفتهما التقليدية كـ مجرد خلفية للأحداث، ليتحوّلا إلى محور مركزي في الصراع ومنشئ أساسي للدراما الوجودية. إن مفهوم المكان هنا، سواء أكان القرية المقتلعة، أو المخيم المؤقت، أو الزنزانة المغلقة، لا يُعامل كفضاء جغرافي سلبي، بل ككائن روائي حي يُشارك الشخصيات آلامها وطموحاتها، بل ويفرض عليها أنماطاً سلوكية وذهنية محددة. فالرواية الفلسطينية تُعيد صياغة جغرافية الفقد عبر الوصف الدقيق والتفصيلي، مُحولة المكان الغائب إلى "مُحرك سردي" يُلزم الشخصيات بالبحث المستمر عن استعادته أو إعادة بنائه في الذاكرة. هذا التفاعل الديناميكي بين الإنسان والمكان المُصادر يرسّخ فكرة أن الصراع هو على الوجود في الجغرافيا والتاريخ معاً، وأن استعادة المكان هي استعادة للزمن المخطوف.

يُعَدُّ التعاطي مع الزمان في السرد الفلسطيني عملية نقدية مُضادة لـ "الزمن المُعطّل" الذي فرضه الاحتلال (زمن النكبة المستمرة)، إذ تلجأ الرواية إلى تقنيات سردية مُعقّدة مثل التناوب بين الأزمنة، وتداخل الماضي في الحاضر عبر الذاكرة، وكسر التسلسل الخطي لترسيخ فكرة عدم انقطاع التاريخ الفلسطيني، وأن الزمن الحقيقي هو زمن التحرير القادم. هذا التشكيل الفني للزمن يُحيل الماضي إلى مادة حية وفاعلة في الحاضر، وليس مجرد ذكرى

سلبية. فالزمن في الرواية ليس إطاراً بل قوة دافعة تتجلى في إصرار الشخصيات على تجاوز زمن الهزيمة نحو زمن العودة.

وهذا ما يؤكد النقد الأدبي في قراءة هذا التعامل الفني: "إن الرواية الفلسطينية قد بلغت ذروة تعقيدها الفني عندما أدركت أن الزمن هو سلاح سردي، فحوّلت الماضي إلى 'هاجس مستقبلي' يلغي فكرة الحاضر المستقر للاحتلال، ويفرض زمن التحرير كغاية حتمية وضرورة فنية"¹². هذا التفاعل يُثبت أن المكان والزمان لم يُصاغَا في الرواية كعناصر تكميلية، بل كأبطال رئيسيين تُبنى حولهما الحبكة والصراع.

إن النظرة النقدية للمكان والزمان كفاعل روائي تكشف عن رؤية فلسفية عميقة ترى في السرد وسيلة لإعادة تشكيل الواقع، فالمكان يصبح وعاءً للهوية يُقاوم التلاشي عبر التفاصيل، بينما يُمثل الزمن جسر البقاء الذي يصل الماضي بالمستقبل المنشود. تتجلى في هذه الروايات "جمالية المقاومة المكانية" التي تُعيد للمدن والقرى المقتلعة أسماءها وتاريخها ورمزيها في وجدان القارئ، مُنتجةً بذلك "مكاناً رمزياً مُحرراً" قبل تحريره الفعلي، فالأديب يمارس هنا تحريراً سردياً موازياً للتحرير المادي. هذا التوظيف العميق والمتعمد للعناصر الزمنية والمكانية يُبعد الرواية عن سطحية التقرير المباشر ويُعلي من قيمتها الفنية، مُرسخاً كونها خطاباً نقدياً ووجودياً يتحدى القهر ليس فقط من خلال ما يقول، ولكن من خلال كيفية بناء عالمه السردى وزمنه الخاص.

5.2. صوت السجن وخصوصية أدب السجون الفلسطيني:

يُمثل أدب السجون الفلسطيني تياراً خاصاً ومميزاً ضمن الرواية الفلسطينية، ويُعد بمثابة شهادة حية على إرادة الصمود الفكري والإبداعي من داخل الزنازين. إنه ليس مجرد توثيق لتجربة الاعتقال القاسية، بل هو فعل مقاوم بحد ذاته، يُثبت أن الإبداع لا يُمكن قمعه حتى في أعتى الظروف. "فأدب السجون الفلسطيني يُبرهن على أن الجسد قد يُقيد ويُعذب، لكن الروح والعقل يظلان حرين، بل وأكثر إبداعاً وخصوبة تحت وطأة القهر، مُحولين الألم إلى إلهام"¹³. يُصبح السجن في هذه الروايات ليس نهاية المطاف أو رمزاً لليأس، بل بداية لمسار جديد من المقاومة، يُشكل فيه القلم سلاحاً يُفجر به الكاتب صمته وعزلته ليُسمع صوته للعالم.

يُمثّل صوت السجن في الرواية الفلسطينية بُعداً سردياً ذا خصوصية متفردة، تتجاوز أدبيات السجون العالمية من حيث وظيفته البنيوية، فهو لا يقتصر على كونه فضاءً للعزل أو القهر، بل يتحول إلى "مشغل سردي" يُعاد فيه تشكيل الوعي المقاوم وإعادة اكتشاف الذات الوطنية في أقصى درجات الضغط. هذا الأدب يُسقط الجدران الأربعة للزنزانة، ليُقيم بدلاً منها "مكاناً رمزياً حراً" تتم فيه ممارسة أقصى درجات التحدي الفكري والروحي، فالبطل الروائي الأسير لا يُعامل كشخصية سلبية تنتظر الإفراج، بل ككائن فاعل يُمارس المقاومة من خلال إدارة الوقت، تنظيم الذاكرة، والتخطيط للتحرر المعرفي. إن الرواية تُركز على كيف تُصبح الزنزانة فضاءً لتوليد الأمل وتوريث التجربة، وكيف يتم فيه إعادة إنتاج اللغة والرمز كأدوات لكسر العزلة، مما يمنح هذا الأدب عمقاً فلسفياً يتعلق بانتصار الإرادة على القيد المادي.

تكمن خصوصية أدب السجون الفلسطيني في تعامله الجدلي مع مفهومي الداخل والخارج، فالرواية تُبين أن السجن ليس فصلاً عن المجتمع، بل هو امتداد مكثف للصراع الخارجي، وأن الأسير هو "فاعل سياسي محوري" داخل منظومة المقاومة الشاملة. هذا الخطاب الروائي يعمل على دمج تجربة الاعتقال في الذاكرة الجمعية كجزء أصيل من مشروع التحرير، لا كحادث جانبي. وفي هذا السياق، تظهر الزنزانة كمختبر للوعي، تُصقل فيه التجربة وتُعاد قراءة التاريخ بعمق أكبر، وهو ما يطرحه النقد المتخصص: "إن خصوصية أدب السجون الفلسطيني تكمن في قدرته على 'توسيع حدود الزنزانة'، حيث يُصبح الداخل السري للسجن متصلاً بشرايين المقاومة في الخارج، مما يُحوّل تجربة الاعتقال إلى 'مركز قيادة' لتنظيم الذاكرة الوطنية والفعل المقاوم"¹⁴. هذه الرؤية تُسهم في تفكيك الصورة النمطية للأسير، مُحلّة محلها صورة القائد والمُعلم الذي يُحوّل لحظات القهر إلى لحظات تأمل وتخطيط استراتيجي للحرية.

إن اللغة المستخدمة في هذا الأدب تتميز بـ "كثافة تعبيرية ورمزية عالية"، حيث تُصبح كل كلمة مُحملة بدلالات تتجاوز المعنى الظاهري، وهي لغة تسعى لتأصيل الذاكرة ورفض التنازل حتى في أسوأ الظروف. الرواية تُسلط الضوء على آليات التعبير داخل السجن، مثل الرسائل المهربة، النصوص المكتوبة بالخفاء، والطقوس اليومية التي تُحافظ على إنسانية المعتقل وهويته، فصوت السجن هنا هو في جوهره صوت الحرية المنشودة. هذا البُعد يضع

أدب السجون الفلسطيني في مرتبة متقدمة من حيث كونه أداة فنية لـ "تحرير اللغة من القيد"، حيث تُستخدم الرمزية للتعبير عن الأفكار الممنوعة والخطط السرية. إن هذا الأدب يؤكد أن الوجود الفلسطيني في أقصى أشكاله (الاعتقال) يظل وجوداً مُقاوماً، وأن السجن، عبر السرد، يُصبح فضاءً مقدساً يُعاد فيه تشكيل العلاقة بين الفرد ووطنه، وتُصاغ فيه عهود العودة والتحرير.

3. رواية السجن ورمزيتها الوجودية في "الشوك والقرنفل" قراءة في الألم المولد للأمل: تُقدم رواية "الشوك والقرنفل" ليحيى السنوار نموذجاً فريداً لأدب السجون الفلسطيني، حيث تُشكل التجربة الشخصية للكاتب داخل المعتقل نقطة الانطلاق الأساسية التي تُحدد طبيعة السرد، لغته، وعمق رسالته. إن كتابة هذه الرواية من وراء القضبان، في ظروف استثنائية، تُضفي عليها بعداً من المصادقية والعمق لا يمكن للكاتب خارج التجربة أن يبلغه. يصبح السجن هنا ليس مجرد مكان للاعتقال والقيد الجسدي، بل مختبراً للصمود الإنساني، ومسرحاً لتفاعل الأفكار والمشاعر تحت الضغط الهائل.

هذا الواقع الوجودي يُمكن الرواية من تحليل عميق لمفهوم "الشوك" و"القرنفل" كرموز لوجود فلسطيني يتسم بالتداخل الدائم بين المعاناة القاسية والأمل المتجدد في الحرية والبقاء. إنها تتناول كيف يُمكن للإنسان، حتى في أحلك الظروف، أن يجد بصيصاً من الجمال والأمل (القرنفل) وسط كم هائل من الألم والقهر (الشوك). يُظهر ذلك في وصف السنوار للقدرة على الصمود داخل السجن؛ "منذ هذه اللحظات بدأنا نفهم جيداً أن للصراع وجهاً آخر غير ما كنا نعي ونذكر من قبل، فالمسألة ليست فقط مسألة أرض وشعب طرد من هذه الأرض، وإنما هي معركة عقيدة ودين، معركة حضارة وتاريخ ووجود. وقد نجح إبراهيم ومن نظموها هذه الرحلة في غرس هذا المعنى جيداً في نفوسنا"¹⁵. هذا التداخل لا يجعل الرواية سوداوية، بل يمنحها واقعية عميقة تُعزز من رسالتها المقاومة.

1.3. تجليات الذاكرة والهوية في "الشوك والقرنفل":

تُعد الذاكرة والهوية محورين أساسيين في رواية "الشوك والقرنفل"، حيث تعمل الرواية بفاعلية على إعادة بناء الذاكرة الفلسطينية الجماعية من خلال استدعاء الأحداث التاريخية المفصلية وتأثيرها على الشخصيات. لا يكتفي السنوار بسرد هذه الأحداث بشكل

سطحي، بل يُقدمها من منظور داخلي عميق، مُظهرًا كيف تُشكل هذه الذاكرة الوعي الجمعي وتُعزز من التمسك بالهوية في مواجهة محاولات الطمس. يتجلى ذلك في قدرة الرواية على استحضار تفاصيل النكبة، النكسة، والانتفاضات، وربطها بالواقع الراهن للشخصيات، ما يُشكل تاريخًا حيًا في الوجدان الفلسطيني. "لم يكن الناس قد أفاقوا من صدمة النكسة والهزيمة، وحالة من الرعب تسيطر على غالبية الناس بسبب أفاعيل الاحتلال واليهود؛ حيث يتجول اليهودي في المدينة وحده؛ ولا يجد من يعترض طريقه، أو يفكر في الاعتداء عليه، ولو علم الناس أن هناك من يفكر في ذلك فيسمعونه خوفًا وحرصًا"¹⁶. هذا الاستدعاء يُصبح فعلًا مقاومةً بحد ذاته.

أما الشخصيات في الرواية، فهي ليست مجرد كائنات ورقية، بل تُصبح حاملة للوعي الجمعي وممثلة للمقاومة اليومية في كافة أشكالها. كل شخصية، بحسب تجربتها ومعاناتها وصمودها، تُقدم جانبًا من جوانب الهوية الفلسطينية المعقدة، وتبرز كيف يُقاوم الفلسطينيون اليأس، ويُحافظون على إنسانيتهم وكرامتهم رغم آلة القمع والاحتلال. يصف السنوار فعل المقاومة بطريقة تُبين هذا الجانب من الصمود والتمسك بالهوية، "لكن هناك بعض المقاومة بين الحين والآخر، وفي فترات متباعدة تنفذ عملية إطلاق نار وقنص أو إلقاء قنبلة يدوية على دوريات الاحتلال في أطراف المدينة أو في إحدى القرى والبلدات المحيطة بها. رغم أن هناك العديد من القرى والمناطق التي تدخلها قوات الاحتلال طيلة الوقت، وهناك بعض المجاهدين ممن يعيشون في الجبال في المغارات التي تقوم تحت الجبال لمسافات طويلة جدًا، يخرجون بين الحين والآخر يهاجمون دوريات الاحتلال؛ فيوقعون بينها الإصابات، وأحيانًا نادرة قتل، ثم يلجأون إلى الجبال مرة أخرى؛ حيث لا تستطيع قوات الاحتلال ولا تجرؤ على التوغل في تلك المناطق الوعرة التي لا يعرفونها، وأشهر هؤلاء المقاومين رجل يسمى "أبو شرار" وهو مجاهد أطار النوم من جنود المحتلين في تلك المنطقة"¹⁷.

تشكل الذاكرة والهوية في الرواية الفلسطينية، كما تتجلى بوضوح في عمل يحيى السنوار، الشوك والقرنفل، المنظومة الفكرية والجمالية التي يُبنى عليها مشروع البقاء والمقاومة، إذ إن الصدمة التاريخية لم تقتصر على الاقتلاع الجغرافي فحسب، بل كانت محاولة جذرية لتفكيك الهوية وتحييد الذاكرة الجمعية، بهدف تحويل الفلسطيني إلى كيان مجرد من سياقه التاريخي.

لذا، تُصبح الرواية، وخاصة تلك المولودة من قسوة الاعتقال، مشروعاً مضاداً لـ "الهندسة السردية" للاحتلال، حيث تعمل على استدعاء وتشكيل الذاكرة الفردية والجماعية بشكل مُمنهج، مُحوِّلة إياها من حمولة نفسية ثقيلة إلى أداة صلبة للمواجهة الإستيمولوجية (المعرفية). هذا الاستدعاء لا يقتصر على استرجاع الأحداث الماضية، بل يتعداه إلى "تفعيل" تلك الذاكرة في زمن الحاضر والمستقبل، لتصبح بمثابة "عقد اجتماعي" غير مكتوب يُلزم الأجيال الجديدة بالحفاظ على الروابط المكانية والزمانية التي حاول القمع قطعها، مُرسّخاً البعد الوجودي والهوياتي للقضية في كل تفصييلة سردية.

تُقدم هذه الرواية صراع الهوية والذاكرة بوصفه معركة ثقافية وجودية تتجاوز الصراع المادي، لتصل إلى صراع على تعريف الذات والآخر؛ فالهوية هنا ليست كياناً ثابتاً ومُعطى، بل هي عملية بناء وتشكيل مستمرة تُقاوم التلاشي وتتغذى من سرديات الصمود والبقاء. تُعالج النصوص الروائية كيفية تحوّل الذاكرة من حالة وجدانية فردية إلى موقف سياسي علني. النقد الأدبي المتخصص يرى أن العمل الروائي كـ "الشوك والقرنفل" يُسهم في تأسيس الذاكرة "عبر آليات السرد التي يبتدعها كاتب مثل يحيى السنوار، بحيث تُصبح الذاكرة نظاماً معرفياً متكاملًا وغير قابل للتجزئة أو التحريف، مما يضمن ديمومة القضية وتجديد الوعي بها عبر الأجيال التي لم تعيش التجربة الأصلية. هذا التشكيل الهوياتي عبر السرد يُعد جوهر عملية المقاومة الثقافية التي تضمن استمرارية الوجود الفلسطيني كقضية حية وفاعلة ومُتأصلة في التاريخ.

2.3. المكان والزمان في "الشوك والقرنفل" شهادة حية على الصمود المتجذر:

يتجاوز توظيف المكان في "الشوك والقرنفل" كونه مجرد خلفية للأحداث؛ ليُصبح كياناً حيّاً وفاعلاً رئيسيّاً في تشكيل الصراع، الذاكرة، والصمود. تُقدم الرواية المكان الفلسطيني (المخيمات، السجون، القرى المدمرة، المدن المحتلة) كفضاءات حيوية للوجود المقاوم. فالمخيم، على سبيل المثال، ليس مجرد مكان للجوء، بل هو مركز للذاكرة، للانتماء، ولتجديد المقاومة، حيث يتداخل فيه الشوك (الضيق، الحرمان) مع القرنفل (الصمود، التكافل). والسجن، رغم كونه رمزاً للقهر.

يتحول إلى فضاء يُصقل فيه الوعي وتُنسج فيه الأحلام، ويُصبح بحد ذاته مكاناً للمقاومة السرية. يُصور السنوار هذا الارتباط العضوي بين الإنسان والأرض، " زنازين التحقيق في مقر التحقيق في المسكوبية في القدس يضح بالمعتقلين. والسجانون يسحبون هذا غرفة التحقيق ويرجعون ثانياً من غرفة ثانية، والمحققون يسألون ويضربون ويعذبون ويهددون للوصول إلى كل معلومة عن أحد المقاومين، أو نشطاء الانتفاضة أو قطعة سلاح... ويبدأ بالضغط عليه مرة بالترهيب وأخرى بالترغيب، ... والشاب يرفض وضابط المخابرات يضغط عليه"¹⁸، بناء على ما سبق فإن المكان في رواية الشوك والقرنفل يُشكّل بُنية سردية فعلية تتجاوز وظيفته التقليدية كخلفية جامدة للأحداث، ليتحول إلى محور مركزي للصراع ومنشئ أساسي للدراما الوجودية.

إن مفهوم المكان هنا، الذي يتراوح بين الزنانة والقرية المستحضرة في ذكريات يحيى السنوار، لا يُعامل كفضاء جغرافي سلبي، بل ككائن روائي حي يُشارك الشخصيات آلامها وطموحاتها، بل ويفرض عليها أنماطاً سلوكية وذهنية محددة، فهو يُصبح شاهداً حياً على الصمود. فالرواية تُعيد صياغة جغرافية الفقد عبر الوصف الدقيق والتفصيلي، مُحولة المكان الغائب إلى "مُحرك سردي" يُلزم الشخصيات بالبحث المستمر عن استعادته أو إعادة بنائه في الذاكرة والوجدان. هذا التفاعل الديناميكي بين الإنسان والمكان المُصادر يرسّخ فكرة أن الصراع هو على الوجود في الجغرافيا والتاريخ معاً، وأن استعادة المكان هي استعادة للذات والكرامة المُصادرة، مما يجعل المكان نفسه بطلاً محورياً في النص.

أما الزمن الروائي، فهو ليس خطياً بسيطاً بقدر ما هو متداخل ومعقد، يربط الماضي القريب (النكبة، النكسة) بالحاضر المليء بالتحديات (الانتفاضات) والمستقبل المأمول (التحرير والعودة). تُظهر الرواية كيف أن الأحداث الماضية تُلقى بظلالها على الحاضر، وكيف يُشكل وعي الأجيال المتلاحقة استمراراً لحلقة المقاومة التي لا تتوقف. إن الزمن في "الشوك والقرنفل" شاهدٌ على الصمود، وعنصرٌ أساسي في تأكيد استمرارية القضية، وتوريثها من جيل لآخر.

يبرز ذلك بوضوح في كيفية تتبع السنوار " خرج الطلاب في مظاهرات عارمة، وصبوا حجارتهم على دوريات الاحتلال وامتدت الأحداث إلى المخيم وإلى كل أنحاء المدينة، خاصة حي الشجاعية حيث يسكن الشهيد صائب ذهب، كما امتدت إلى جنوب القطاع خاصة خان

يونس حيث يسكن الشهيد جواد أبو سليمة. ظلت الأحداث تتلاحق خلال الأيام التالية، ومع إلقاء الحجارة على دوريات الاحتلال التي تجثم بجوار الجامعة وتمر بجوارها حضرت قوات كبيرة من جيش الاحتلال وحاصرت الجامعة، وبدأ واضحاً أنهم يريدون أن يؤدبونا كي نصبح أولاداً جيدين وهادئين" ¹⁹.

يُعدُّ التعاطي مع الزمان في السرد الفلسطيني، كما يظهر في بنية الشوك والقرنفل، عملية نقدية مُضادة لـ "الزمان المُوقف" الذي فرضه الاحتلال، إذ تلجأ الرواية إلى تقنيات سردية مُعقّدة مثل التناوب بين الأزمنة، وتداخل الماضي في الحاضر عبر الذاكرة، وكسر التسلسل الخطي لترسيخ فكرة عدم انقطاع التاريخ الفلسطيني، وأن الزمان الحقيقي هو زمن التحرير القادم. هذا التشكيل الفني للزمن يُحيل الماضي إلى مادة حية وفاعلة في الحاضر، وليس مجرد ذكرى، كما أنه يُمارس نوعاً من المقاومة الزمنية، حيث تُفكك الرواية الزمان الخطي للاحتلال وتُعيد ترتيبه، لتؤكد أن الماضي هو الأساس الذي يُبنى عليه المستقبل الحر. هذا التلاعب الواعي بالزمن السردية يهدف إلى إبطال مفعول محاولات الاحتلال لـ "تجميد" الوعي الفلسطيني في لحظة الهزيمة، ويُطلق العنان لإمكانية التحرير كغاية حتمية، مما يُثبت أن المكان والزمان لم يُصاغاً في الرواية كعناصر تكميلية، بل كقوى دافعة تُبنى حولهما الحبكة والصراع وتُعطى شهادة حية على الصمود المتجذر وهذا مابرز بشكل جلي في رواية الشوك والقرنفل.

4. الشوك والقرنفل "كصوت مقاوم من الداخل":

تُقدم رواية "الشوك والقرنفل" مثالاً بليغاً على مفهوم الأدب كسلاح للمقاومة، متجاوزاً حدود السرد التقليدي. فكونها كُتبت ونُشرت من داخل السجن، تُضفي عليها أبعاداً رمزية عميقة، مُثبتة أن الإبداع لا يُمكن قمعه، وأن الصوت الفلسطيني سيظل يجد طريقه للظهور حتى من أصعب الظروف وأكثرها قسوة. إنها تحوّل السجن من مجرد مكان للاعتقال والقهر إلى فضاء للإبداع والنضال الفكري، حيث يُصبح القلم وسيلة لمواصلة المقاومة. يرى أحد الباحثين أن "أدب السجون الفلسطيني هو شهادة لا تُدحض على أن الكلمة هي الرفيق الأبدي للحرية، وقادرة على اختراق الجدران والوصول إلى أبعد مدى" ²⁰.

يُمثّل صوت السجن في رواية الشوك والقرنفل لـ يحيى السنوار بُعداً سردياً ذا خصوصية متفردة، تتجاوز أدبيات السجون العالمية من حيث وظيفته، فهو لا يقتصر على كونه فضاءً للعزل أو القهر، بل يتحول إلى "مشغل سردي" يُعاد فيه تشكيل الوعي المقاوم وإعادة اكتشاف الذات الوطنية في أقصى درجات الضغط. هذا الأدب يُحطم قضبان الزنزان ، ليُقيم بدلاً منها "مكاناً رمزياً حراً" تتم فيه ممارسة أقصى درجات التحدي الفكري والروحي، فالبطل الروائي الأسير يُعامل كشخصية فاعلة يُمارس المقاومة من خلال إدارة الوقت، وتنظيم الذاكرة، والتخطيط للتحرر المعرفي. إن الرواية تُركز على كيف تُصبح الزنزانة فضاءً لتوليد وإعادة إنتاج اللغة والرمز كأدوات لكسر الظلم والقهر، مما يمنح هذا الأدب عمقاً فلسفياً يتعلق بانتصار الإرادة على القيد المادي، ويُرسخ فكرة أن القهر يولّد المقاومة الأكثر عمقاً ووعياً.

لا يقتصر هذا العمل الأدبي على سرد الواقع، بل هو بناء لوعي مقاوم، يُلهم الأجيال ويُعزز من روح الصمود والتحدي. يُصبح قلم السنوار هنا أداة لكسر جدران العزلة والصمت، ووسيلة لإبصال الحكاية من قلب المعتقل إلى العالم الخارجي، مُقدماً سردية بديلة للسردية المهيمنة التي يحاول الاحتلال فرضها.

إنها رسالة تؤكد أن الأمل، حتى وإن كان هشاً كزهرة القرنفل التي تزهر وسط الشوك، قادر على البقاء والتجدد، ويدعو إلى الاستمرارية في طريق التحرير. يتجسد هذا المعنى في نهاية الرواية، حيث تُترك رسالة قوية للقارئ تُعزز من قيمة الصمود والإصرار، "انتهت مأساة يحيى السنوار وإخوانه وتحرروا من سجون الاحتلال، وانتقلوا إلى ساحات المقاومة يقارعون جيش العدو الصهيوني، المدعوم من دول الاستعمار القديم بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا إضافة إلى أمريكا التي تمد جيش العدوان بالسلح والذخيرة والجنود والمستشارين العسكريين، ورغم كل هذا، لم تلن للسنوار وإخوانه قناة، ولم يزد هم هذا التواطؤ الخسيس إلا شدة وبأساً. والله ناصرهم ومؤيدهم. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون"²¹. إن "الشوك والقرنفل" ليست مجرد حكاية، بل هي نداءً عميق من أعماق المعاناة، يؤكد أن إرادة الحياة أقوى من كل الشوك، وأن القرنفل سيظل يزهر مهما كانت الظروف قاسية. لقد رسخت هذه الرواية مكانتها كإضافة نوعية وكمية للأدب الفلسطيني المقاوم، مؤكدةً على أن "الأدب الحقيقي يظل صدى للواقع بمرارته، لكنه يتجاوزه ليُشكل وعياً يُضيء

دروب المستقبل ويُلهِم الأجيال" ²² تُقدم هذه الدراسة رؤية تحليلية متكاملة لرواية السنوار كنموذج يُمثل الرواية الفلسطينية المقاومة، وتفتح آفاقاً واسعة لدراسات مستقبلية تتناول العلاقة بين الأدب والذاكرة والهوية في سياق النزاعات المستمرة، وتُساهم في تعميق فهمنا لدور الأدب في معركة الوجود والبقاء التي لا تنتهي. فهل تُشكل هذه الرواية علامة فارقة في أدب السجون العالمي.

5. خاتمة:

في الختام، تُعد رواية "الشوك والقرنفل" لـ يحيى السنوار عملاً أدبياً عميقاً ومتعدد الأبعاد، يتجاوز كونه مجرد سرد لقصة، ليُقدم تحليلاً مركباً ورمزياً للواقع الفلسطيني كفعل مقاوم شامل. لقد نجحت هذه الدراسة في إثبات أن الرواية الفلسطينية، عبر أنموذجها الفريد "الشوك والقرنفل"، تُجسد مفهوم المقاومة في جوهرها وبعناصر متكاملة تُساهم في تعزيز الوعي الوجودي.

يمكن تلخيص النتائج الرئيسة لهذه الدراسة في العناصر التالية:

- رمزية العنوان العميقة والثرية التي لم تكن مجرد تسمية، بل أصبحت أيقونة تُختزل فيها ثنائية الألم القاسي والأمل المتجدد، مُشكلةً مرآة صادقة لواقع الصراع الوجودي الفلسطيني.
- الشخصيات الواقعية والمعقدة والمتفردة التي تُقدم الإنسان الفلسطيني في كل أبعاده، ليس كضحية فحسب، بل كحامِل للوعي الجمعي وفاعل مقاوم يُصر على الحياة، مُجسدةً التحدي والصمود اليومي.
- التوظيف الزمني والمكاني المتقن والفعال حيث تحولت فلسطين، بكل أبعادها التاريخية والجغرافية، إلى فضاء حيوي للذاكرة، الصراع، والصمود الأبدي، مُبرزةً عمق التجذر الفلسطيني.

- الرواية كفعل مقاوم أصيل وإبداعي فكونها نُسجت من داخل السجن، عزز من مكانتها كشهادة حية على إرادة الصمود والإبداع في أشد الظروف قسوة، مُثبتةً أن القلم أداة لا تُقهر. تأصيل مفهوم الرواية كأداة للمقاومة الفكرية والثقافية حيث تجاوزت وظيفتها السردية لتُساهم في بناء وعي جمعي يُقاوم التغييب ويُعلي من شأن الهوية والذاكرة

- ¹ - غسان كنفاني: أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، مؤسسة الأبحاث العربية، 1987، ص121.
- ² - منيف أحمد حميدوش: أدب المقاومة بين الواقع والطموح، مؤسسة سوريا للإنتاج الاعلامي، 2020، ص. 45.
- ³ - رشا أبو شاور: قراءات في الأدب الفلسطيني، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007، ص. 78.
- ⁴ - مصطفى عبد الغني: نقد الذات في الرواية الفلسطينية، دار سينا للنشر القاهرة، ط1، 1994، ص. 55.
- ⁵ - ماجدة حمود: النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات، دار كنعان للنشر والتوزيع، ط1، 1992، ص. 187.
- ⁶ - حسين جمعة: ملامح في الأدب المقاوم - فلسطين أنموذجا- دراسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009، ص. 31.
- ⁷ - حنان بكير: إبحار في الذاكرة الفلسطينية، قصص قصيرة وصور قلمية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 2013، ص. 112.
- ⁸ - رشا أبو شاور: قراءات في الأدب الفلسطيني، مرجع سابق، ص. 59.
- ⁹ - أمنة حجاج: المفارقة في روايات الداخل الفلسطيني، مراوغة البناء وغواية التأويل، تق: سعيد يقطين، الجامعة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2023، ص. 187.
- ¹⁰ - صلاح خلف: فلسطيني بلا هوية، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1996، ص 113.
- ¹¹ - حسام الخطيب: النقد الأدبي في الوطن الفلسطيني والشتات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996، ص. 90.
- ¹² - منير حايك: أدبية المكان في الرواية الفلسطينية، دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2021، ص. 223.
- ¹³ - شريف كناعنة: دراسات في الثقافة والتراث والهوية، تح: مصلاح كناعنة، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله- فلسطين، 2011، ص. 65.
- ¹⁴ - حسن عبادي: احتمالات بيضاء، ادب الحرية الفلسطيني كفلسفة للتحدي والذاكرة النابضة، دار الرعاة للدراسات والنشر، عمان، 2025، ص. 25.
- ¹⁵ - يحي السنوار: الشوك والقرنفل، رواية، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2024، ص 189.
- ¹⁶ - يحي السنوار: الشوك والقرنفل، رواية، مرجع سابق، ص 61.
- ¹⁷ - المصدر نفسه: ص 163.
- ¹⁸ - يحي المصدر نفسه، ص 359.
- ¹⁹ - يحي السنوار: الشوك والقرنفل، رواية، مرجع سابق: ص 233.

- ²⁰ - أحمد أبو مطر: الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، ص. 120.
- ²¹ - يحيى السنوار: الشوك والقرنفل، مصدر سابق، ص. 466.
- ²² - محمد الشحات: سرديات المنفى، دراسة في الرواية العربية بعد عام 1967، دار أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، 2019، ص. 125.

7. قائمة مصادر البحث ومراجعته:

1. يحيى السنوار: الشوك والقرنفل، رواية، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2024.
2. أحمد أبو مطر: الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.
3. آمنة حجاج: المفارقة في روايات الداخل الفلسطيني، مراوغة البناء وغواية التأويل، تق: سعيد يقطين، الجامعة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2023.
4. حسام الخطيب: النقد الأدبي في الوطن الفلسطيني والشتات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996.
5. حسن عبادي: احتمالات بيضاء، ادب الحرية الفلسطيني كفلسفة للتحدي والذاكرة النابضة، دار الرعاة للدراسات والنشر، عمان، 2025.
6. حسين جمعة: ملامح في الأدب المقاوم - فلسطين أنموذجاً- دراسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2009.
7. حنان بكير: إبحار في الذاكرة الفلسطينية، قصص قصيرة وصور قلمية، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 2013.
8. رشا أبو شاور: قراءات في الأدب الفلسطيني، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007.
9. شريف كناعنة: دراسات في الثقافة والتراث والهوية، تح: مصلح كناعنة، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله- فلسطين، 2011.
10. صلاح خلف: فلسطين بلا هوية، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1996.
11. غسان كنفاني: أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، مؤسسة الأبحاث العربية، 1987.

12. ماجدة حمود: النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات، دار كنعان للنشر والتوزيع، ط1، 1992.
13. محمد الشحات: سرديات المنفى، دراسة في الرواية العربية بعد عام 1967، دار أزمنة للنشر والتوزيع، ط1، 2019.
14. مصطفى عبد الغني: نقد الذات في الرواية الفلسطينية، دار سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1994.
15. منير حايك: أدبية المكان في الرواية الفلسطينية، دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2021.
16. منيف أحمد حميدوش: أدب المقاومة بين الواقع والطموح، مؤسسة سوريا للإنتاج الاعلامي، 2020.